بسم الله الرحمن الرحيم

التحذير من الأشرار دعاة الخروج لغلاء الأسعار

قال الله تعالىٰ: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا}:

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ:

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ} نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ: مَا زِلْنَا نَعْرِفُ النَّقْصَ فِي ثِمَارِنَا وَمَزَارِعِنَا مُنْذُ قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ} يَعْنِي: الْيَهُودَ {حَسَنَةٌ} أَيْ خِصْبٌ وَرُخْصٌ فِي السِّعْرِ، {يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ} لَنَا، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} يَعْنِي: الْجَدْبَ وَغَلَاءَ الْأَسْعَارِ {يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} أَيْ: مِنْ شُؤْمِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ... ، {قُلْ} لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ} أَيْ: الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ .

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ {فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ} بَلِيَّةٍ أَوْ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ، {فَمِنْ نَفْسِكَ} أَيْ: بِذُنُوبِكَ، وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ" (الشُّورَىٰ :٣٠).

وأيضا قال الله تعالىٰ : {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ}.

قال الشيخ عمر بن علي بن عادل الحنبلي (المتوفىٰ: ٧٧٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ **في تفسيره "اللباب في علوم الكتاب"**:

قوله تعالىٰ: {إني أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} قال ابنُ عبَّاسٍ: موسرين في نعمة. وقال مجاهدٌ: كانوا في خِصب وسعةٍ؛ فحذَّرهم زوال النعمة، وغلاء الأسعار، وحلول النقمة إنْ لم يتُوبُوا .اهـ

إذًا المخرج من غلاء الأسعار في كلام السلف ليس المظاهرات ولا الاعتصامات ولا تأليب الرعية علىٰ السلطان إنما التوبة والرجوع إلىٰ الله عز وجل، فقد قال الله تعالىٰ :{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [آل عمران:١١] .

وقال سبحانه :{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنـًا آخَرِينَ} [الأنعام:٦]، وقال عز وجل:{ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} [الأعراف:١٠٠].

قال شيخنا العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله في كتابه "إعانة المستفيد":

ثمّ قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ } ، {بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} الشدائد من الجوع والخوف والقحط وغلاء الأسعار، يفعل الله ذلك بهم لعلهم يدعونه، ولعلهم يرجعون إلىٰ الله ويتوبون، ويعلمون أن ما أصابهم بسبب ذنوبهم؛ لكنهم لم يرجعوا .

غلاء الأسعار وقع مرات ومرات في عهد السلف ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" قال رَحِمَهُ اللهُ :

ثُمَّ دخلت سنة ثماني عشرة وسبعمائة : ... وَوَصَلَتِ الْأَخْبَارُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَبِلَادِ الشَّرْقِ سِنْجَارَ وَالْمَوْصِلَ وَمَارِدِينَ وَتِلْكَ النَّوَاحِي بِغَلَاءٍ عَظِيمٍ وَفَنَاءٍ شَدِيدٍ، وَقِلَّةِ الْأَمْطَارِ، وخوف التَّتَارِ، وَعَدَمِ الْأَقْوَاتِ وَغَلَاءِ الْأَسْعَارِ، وَقِلَّةِ النَّفَقَاتِ، وَزَوَالِ النِّعَمِ، وَحُلُولِ النِّقَمِ، بِحَيْثُ إِنَّهُمْ أَكَلُوا مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ

وَالْمَيْتَاتِ، وَبَاعُوا حَتَّىٰ أَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ، فَبِيعَ الْوَلَدُ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا وأقل من ذلك .اهـ

هكذا باع الناس أولادهم في سنة ثماني عشرة وسبعمائة علىٰ خمسين درهما للولد الواحدِ يعني بما يساوي خمسَ مئة جنيهٍ في زماننا !!

بل إن غلاء الأسعار وقع علىٰ عهد رسول الله ﷺ فماذا فعل الصحابة رضي الله عنهم ؟

أخرج أحمد وأهل السنن عدا النسائي وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : غَلَا السِّعْرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ سَعِّرْ لَنَا . فَقَالَ : " إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ ".

إن غلاء الأسعار لم يسلم منه أفضل العهود وأزكاها عصرُ النبي ﷺ وأصحابِه الكرام رضي الله عنهم ، ففيه تسلية وعزاء لكل مجتمع قد يصاب في دنياه بشيء من المصائب ولو كان علىٰ دين وتقوىٰ وصلاح فإن الابتلاءات كما تكون عقوبات فإنها قد تكون أيضاً لتكفير السيئات ورفع الدرجات .

إذا عرفنا أن المسعر هو الله تعالىٰ وأنه هو الذي يُغْلِي الأسعار وهو الذي يُرْخِصُها عرفنا أن الذين يَشُنُّون الحملات المسعورةَ علىٰ ولاة أمورنا وفقهم الله إذا حصل شيء من ارتفاع الأسعار في بعض السلع حسَب ما تقتضيه ظروف الوقت قد خالفوا السبيل القويم والمنهج المستقيم ؛ لأن الأسعار بيد الله تعالىٰ .

لقد خرج دعاة الضلالة يحرضون الرعية علىٰ الراعي والشعبَ علىٰ الحاكم من أجل غلاء الأسعار راغبين بذلك في دمارٍ عارمٍ وخرابٍ واسعٍ فإن اختلاف الكلمة بين الراعي والرعية تفضي إلىٰ مصائبَ وخيمة وأهوالٍ عظيمة كما لا يخفىٰ وقد تبين ذلك جلياً بعد أحداث الربيع العربي المزعوم.

إن المؤمن الخاضع لأمر الله تعالىٰ المتبع لرسول الله ﷺ لا يربط بين بيعته لولاة أمره وبين ما يصله من دنياهم بل يبايعهم لله إن أعطوه حقه حمد الله وسمع وأطاع وإن منعوه حقه صبر واحتسب وسمع وأطاع لِما أخرجه البخاري عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ :" إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ".

أمَّا أن يرضىٰ ويسمع ويطيع إذا أعطوه ويسخط أو يُحرض أو يثير الفتنة إذا منعوه فهذا ليس من سلوك أهل الإيمان ، فقد أخرج الشيخان وابنُ ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَىٰ لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا".

لنحمدِ الله ولنشكرْه علىٰ نِعمه ومِننه وآلائه فنحن نعيش ولله الحمد في أمن وكفىٰ بذلك نعمة وهذه نعمة عظيمة لابد أن نشكر الله جل وعلا عليها فبالشكر تدوم النعم .

وإني لأحذر من دعاة الضلالة أدعياء السلفية كجماعة برهامي الذين يتظاهرون أمام الناس بأنهم مع الدولة وهم والله ضدها ، وهذا تصريح برهامي بأنه لا يبايع وليَّ أمرنا .

وهذا كلامه : جاء في جريدة البوابة: السبت ٠١-٠٨-٢٠١٥م :

قال برهامي في التسجيل الذىٰ أجري في الفترة الانتقالية بعد الثلاثين من يونيو: «لم أقل أن حسني مبارك ولي أمر، ولا مرسي ولي أمر، ولا المجلس العسكري ولي أمر، ولا الموجود حاليًا - يقصد الرئيس المؤقت عدلي منصور- ولي أمر، ولا اللي جاي ولي أمر ".

وأضاف برهامي: «لا شك أن حكامنا اليوم قد تولوا الحكم علىٰ غير أساس من الشرعية، حيث لم يتم توليتهم علىٰ أساس من ترشيح أهل الحل والعقد في البلاد، وكذلك لم يتولوا الحكم لإقامة شرع الله، وعلىٰ هذا فإن الأحاديث الواردة في عدم جواز أن يبيت الإنسان ليلته وليس في رقبته بيعة لا تنطبق عليهم لأنهم ليسوا حكامًا شرعيين .

كذا قال برهامي عليه من الله ما يستحق ، فهل هذا سيسعون للحفاظ علىٰ الولاة والأمن والأمان ، اللهم لا . إنما يبغونها عوجـًا وخرابـًا والعياذ بالله. ألا قطع الله دابرهم وقرنهم .

وصلىٰ اللهم وسلم وبارك علىٰ عبده ونبيه محمد ﷺ